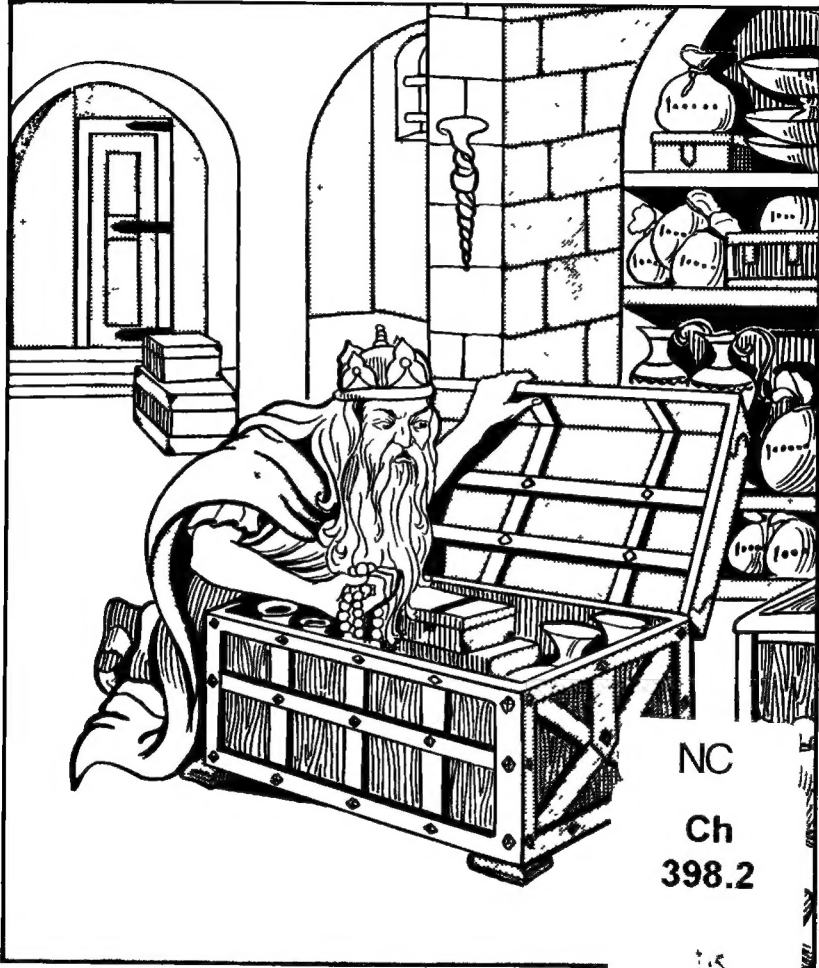


کمال کی لانی
أساطیر العالم



NC

Ch
398.2

کتاب

د



کتاب میداس

أساطير العالم

المليك و ميداس

الطبعة الحادية عشره



دارالمعارف

مقدمة

أيُّها الطِّفْلُ العَزِيزُ :

هذه مجموعةٌ مُختارةٌ، قَبَسْتُها لَكَ مِنْ أساطيرِ العالمِ ، لِأَدْرِيكَ مِنْ ألوانِ التَّفكيرِ في الأُمَمِ — قاصِيَةً وَدَائِيَةً — مَا تَبْتَهِجُ بِهِ نَفْسُكَ ، وَيَهشُّ لَهُ خَاطِرُكَ (يَرْتَاحُ لَهُ قَلْبُكَ) .

وقد ذَاعَتْ تِلْكَ الأساطيرُ وَانْتَشَرَتْ ، فِي مُخْتَلِفِ الأُمَمِ الشَّرْقِيَّةِ وَالغَرْبِيَّةِ ؛ وَظَلَّتْ — مُنْذُ المَـصُـوَرِ القَدَائِمِ — يَتَنَاقَلُها الأَبْنَاءُ عَنِ الآبَاءِ ، وَيَرْوِيها الحَفَدَةُ عَنِ الأَجْدَادِ ، وَيَتَفَكِّها الخَلْفُ عَنِ السَّلَفِ ، حَتَّى وَصَلَتْ إِلَيَّ — فِيمَنْ وَصَلَتْ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّاسِ — فَأَثَرْتُ أَنْ أَرَوِيها لَكَ بِأَسْلُوبِ تَرْضَاهُ ؛ لِتَقْصَّها أَنْتَ عَلَى غَيْرِكَ — كَمَا قَصَصْتُها عَلَيْكَ — فَتَبْهَجَ بِها كَمَا أَبْهَجْتَ ، وَتَنْفَعَهُ كَمَا انْتَفَعْتَ .

وَأُحِبُّ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ هَذِهِ الأساطيرَ الَّتِي تَرَاهَا — أَوْ تَرَى أَكْثَرَهَا — خَيَالِيَّةٌ غَيْرُ مُمَكِّنَةِ الوُقُوعِ : هِيَ خُلَاصَةٌ رَائِعَةٌ لِحَقَائِقِ الحَيَاةِ ، وَمَعْرُضٌ جَمِيلٌ تَتَجَلَّى فِيهِ نَزَعَاتُ النَفْسِ الإنْسَانِيَّةِ ، وَتَظْهَرُ أَخْلَاقُها وَرَغَبَاتُها ، فِي الإِسَاءَةِ وَالْإِحْسَانِ .

وَأَنْتَ إِذَا تَدَبَّرْتَ هَذِهِ الْأَقَاصِيصَ حَقَّ التَّدَبُّرِ ؛ وَجَدْتَهَا مُوَافِقَةً
لِمَا يَظْهَرُ حَوْلَكَ مِنْ أَخْلَاقِ النَّاسِ وَغَرَائِزِهِمْ . فَهِيَ إِنَّمَا تَصِفُ
طَبَاعًا مَكِينَةً ، وَغَرَائِزَ أُصِيلَةً ثَابِتَةً مُتَلَابِسَةً النَّاسَ ، وَتَتَّصِلُ بِهِمْ فِي
كُلِّ عَصْرِ وَمِصْرٍ . وَسَتَرَى فِي هَذِهِ الْمَجْمُوعَةِ الَّتِي تَخَيَّرْتَهَا لَكَ : أُمُثَلَةً عَلِيًّا ،
تُحِبُّ إِلَيْكَ الْفَضِيلَةَ ، وَبُيِّنُكَ لَكَ — مِنْ مَزَايَاهَا وَحُسْنِ آثَارِهَا —
مَا يَزِيدُكَ تَمَسُّكًا بِمَا طُبِعَتْ عَلَيْهِ مِنْ نَبِيلِ الْخِلَالِ ، وَكَرِيمِ الْخِصَالِ ،
وَحَمِيدِ السَّجَايَا ، وَمَحْمُودِ الطَّبَائِعِ ، وَتَرْضَى الْأَخْلَاقَ .

وَقَبْلَ أَنْ أَبْدَأَ لَكَ حَدِيثَ الْأَسَاطِيرِ ، لَا يَفُوتُنِي أَنْ أُكْرِّرَ عَلَيْكَ
وَصِيَّتِي إِلَيْكَ : أَنْ تُطِيلَ الرُّوْيَةَ ، وَتُدِيمَ التَّفَكُّرَ وَالتَّأَمُّلَ فِيمَا تَقْرَأُ
مِنْهَا ، وَأَنْ تُحْسِنَ تَفَهُُّهُمَا ؛ حَتَّى يَتَوَضَّحَ أَمَامَكَ مَنَازِلُهَا الْعَمِيقُ ، وَيَتَجَلَّى
لَكَ مُرَادُهَا الدَّقِيقُ ، وَهَدَفُهَا الْعَمِيدُ ، وَمَرَامُهَا الْبَعِيدُ .

فَإِذَا تَحَقَّقَ لَكَ هَذَا ، فَقَدْ تَحَقَّقَ لِيَ الْفَرَضُ الْأَسْمَى الَّذِي قَصَدْتُ
إِلَيْهِ حِينَ فَكَّرْتُ فِي أَنْ أَخْتَارَ لَكَ هَذِهِ الْمَجْمُوعَةَ مِنْ قِصَصِ
الْعَالَمِ وَأَسَاطِيرِهِ ^(١) .

(١) نُبِتَ فِي هَذِهِ الطَّبْعَةِ مَقْدَمَةُ الطَّبْعَةِ الْأُولَى ، كَمَا أَثْبَتْنَاهَا فِي الطَّبْعَاتِ السَّابِقَةِ .

الفصل الأول

١ - عاشق الذهب

كَانَ - فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ - مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ الرُّومِ ، أَسْمُهُ : الْمَلِكُ «مَيْدَاسُ» . وَكَانَ لِهَذَا الْمَلِكِ بِنْتُ صَغِيرَةٌ ، جَمِيلَةُ الْوَجْهِ ، عَظِيمَةُ الْخُلُقِ ، أَسْمَاهَا : «مَرْيَمُ الدَّهْيِيَّةُ» .

وَلَمَّا كَانَتْ تَعْرِفُ مِنْ هَذِهِ التَّسْمِيَةِ حُبَّ آبِهَا وَشَفَقَهُ بِالذَّهَبِ إِلَى حَدٍّ أَنْ أَطْلَقَ أَسْمَهُ عَلَى بِنْتِهِ .

وَلَقَدْ كَانَ الْمَلِكُ «مَيْدَاسُ» يُحِبُّ بِنْتَهُ «مَرْيَمَ» حُبًّا شَدِيدًا . وَلَكِنْ ذَلِكَ الْحُبُّ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ، إِذَا قِيسَ إِلَى شَفَقِهِ بِالذَّهَبِ ، وَوُلُوعِهِ بِالْثَرَاءِ .

كَانَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مَقْتُونًا بِحُبِّ الذَّهَبِ ، وَكَانَ يُنْفِقُ أَيَّامَهُ فِي جَمْعِهِ ، وَيُؤَثِّرُهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا ، وَلَا يُفَكِّرُ فِي شَيْءٍ سِوَاهُ ، حَتَّى أَطْلَقَ عَلَيْهِ النَّاسُ لِقَبَّ : «عَاشِقُ الذَّهَبِ» .

٢ - كَنْزُ «مَيْدَاسُ»

وَقَدْ أَخْرَزَ الْمَلِكُ «مَيْدَاسُ» تَلَا كَبِيرًا مِنَ الذَّهَبِ ، وَجَمَعَ فِي

قَصْرِهِ كَنْزًا ، لَمْ يَجْمَعْ مِثْلَهُ أَحَدٌ مِنْ قَبْلِهِ . وَأَذْهَلَهُ حُبُّ الذَّهَبِ عَنْ كُلِّ مَا فِي الدُّنْيَا مِنْ مَبَاهِجٍ وَمَشَاغِلَ ، وَأَصْبَحَ لَا يُطِيقُ أَنْ يَرَى شَيْئًا أَمَامَ عَيْنَيْهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَسْجَدًا حُرًّا (ذَهَبًا خَالِصًا) ١
وَقَدْ تَعَوَّدَ أَنْ يَقْضَى شَطْرًا كَبِيرًا مِنْ يَوْمِهِ فِي سِرْدَابٍ مُظْلِمٍ فِي قَصْرِهِ ، لِيُتِمَّ نَظَرُهُ بِرُؤْيَا مَا فِي كَنْزِهِ مِنَ الذَّهَبِ . وَكَانَ قَدْ شَيْدَ ذَلِكَ السِّرْدَابِ الْمُظْلِمِ ، وَخَبَأَ فِيهِ كَنْزَهُ الْمَمْلُوءَ بِالتَّقَائِسِ الذَّهَبِيَّةِ ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ لِيُطِيقَ أَنْ يَنْقَى فِي هَذَا السِّرْدَابِ الْمُوحِشِ إِلَّا الْمَلِكُ « مِيدَاسُ » وَحْدَهُ .

٣ — أَحْلَامُ « مِيدَاسِ »

وَكَانَ إِذَا دَخَلَ سِرْدَابَهُ أَغْلَقَ بَابَهُ عَلَيْهِ ، وَأَحْكَمَ رِتَاجَهُ (قُفْلَهُ) ، ثُمَّ أَجَالَ بَصَرَهُ فِي كَنْزِهِ ، وَظَلَّ يَمُدُّ دَنَائِيرَهُ وَسَبَائِكُهُ الْعَسْجَدِيَّةَ (الذَّهَبِيَّةَ) وَيَحْمِلُهَا إِلَى طَاقَةِ صَغِيرَةٍ يَنْفُذُ مِنْهَا شُعَاعٌ صَنِيلٌ مِنْ أَشْعَةِ الشَّمْسِ ، لِيُتِمَّ نَظَرَهُ بِرُؤْيَا بَرِيقِهَا وَلَمَعَانِهَا . وَلَمْ يَكُنْ يَرَى لِلشَّمْسِ فَائِدَةً أَكْبَرَ مِنْ أَنَّهَا تَعْكِسُ أَضْوَاءَهَا عَلَى ذَلِكَ الْمَعْدِنِ التَّقِيسِ الَّذِي لَا يَعْدِلُهُ شَيْءٌ — فِي الدُّنْيَا كُلِّهَا — نَفَاسَةً وَخَطَرًا .

وَيَظَلُّ — طُولَ وَقْتِهِ — مَشْغُولًا بِتَعْدَادِ مَا فِي كَنْزِهِ مِنَ الذَّهَبِ ،
 وَوَضَعَ الدِّينَارَ فَوْقَ الدِّينَارِ ، وَالسَّبْيِكَةَ فَوْقَ السَّبْيِكَةِ .
 وَكَانَ يُقَلِّبُ الْقِطْعَ الذَّهَبِيَّةَ ، وَيَفْرُكُهَا بَيْنَ أَصَابِعِهِ ، مُخْتَبِطًا
 مَسْرُورًا ، وَيُنَاجِي نَفْسَهُ قَائِلًا :
 « مَا أَسْمَدَ حَظُّكَ يَا «مَيْدَاسُ» ! وَمَا أَوْفَرَ ثَرَاكَ ! »

وَلَقَدْ أَخْطَأَ فِي الْأَوَّلَى ، وَصَدَقَ فِي الثَّانِيَةِ ، فَقَدْ كَانَ حَقًّا أَغْنَى
 النَّاسَ فِي عَصْرِهِ . وَلَسَكِنَّهُ — عَلَى وَفْرَةِ ذَمِّهِ — لَمْ يَكُنْ سَعِيدًا ؛
 لِأَنَّ نَفْسَهُ الشَّقِيَّةَ قَدْ حُرِمَتْ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ سَعَادَاتِ الْعَالَمِ وَمَبَاهِجِهِ .
 وَكَانَ «مَيْدَاسُ» يَشْعُرُ — فِي نَفْسِهِ — أَنَّهُ لَا يَزَالُ فَقِيرًا إِلَى الْمَالِ ،
 وَيَوَدُّ لَوْ أَصْبَحَ الْعَالَمُ كُلُّهُ كَنْزًا مَمْلُوءًا بِالذَّهَبِ ، وَلَا يَرْتَاحُ لَهُ بَالٌ
 إِلَّا إِذَا تَحَقَّقَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمْنِيَّةُ .

٤ — الزَّائِرُ الْغَرِيبُ

وَكَانَتْ تَحْدُثُ — فِي تِلْكَ الْمُسُورِ الْقَدِيمَةِ — حَوَادِثُ : نَرَاهَا
 عَجِيبَةً خَارِقَةً لِلْعَادَةِ ، فِي هَذَا الْمَعْرِ الَّذِي نَعِيشُ فِيهِ ؛ كَمَا أَنَّ فِي

عَصَرْنَا — مِنْ الْعَجَائِبِ الَّتِي أَلْفَنَاهَا ، وَتَعَوَّدْنَا رُؤْيَهَا — مَا لَوْ رَأَى
أَهْلُ تِلْكَ الْمُصُورِ الْقَدِيمَةِ بَعْضَهُ ، لَتَمَلَّكَهُمْ الْعَجَبُ وَكَذَّبُوا أَعْيُنَهُمْ ،
وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يُصَدِّقُوا بِوُقُوعِهِ .

وَإِلَيْكَ شَيْئًا مِمَّا كَانَ يَحْدُثُ لِلنَّاسِ مِنَ الْعَجَائِبِ فِي تِلْكَ
الْمُصُورِ الْغَابِرَةِ :

جَلَسَ « مَيْدَاسُ » فِي كَنْزِهِ ، بَعْدَ أَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ . وَلِأَنَّهُ لَفَارِقٌ فِي
إِعْجَابِهِ بِرُؤْيَةِ أَكْوَامِ الْمَكْدَسَةِ مِنَ الذَّهَبِ الْوَهَّاجِ ، إِذْ رَأَى طَيْفًا يُدَانِيهِ .
فَنَظَرَ إِلَيْهِ « مَيْدَاسُ » مَذْهُوشًا . وَلَمْ يَعْلَمْ : كَيْفَ دَخَلَ هَذَا الزَّائِرُ
الْغَرِيبُ كَنْزَهُ ، بَعْدَ أَنْ أَحْكَمَ رِتَاجَ الْبَابِ عَلَيْهِ .
فَأَذْرَكَ « مَيْدَاسُ » أَنَّ ذَلِكَ الزَّائِرَ لَيْسَ مِنَ الْإِنْسِ ، وَأَيُّقِنَ أَنَّ
صَنِيفَهُ لَا مَبْدَأَ أَنْ يَكُونَ تَالِيًا (جُنْيًا) .

ه — حِوَارُ التَّابِعِ

وَأَجَالَ « مَيْدَاسُ » لِحَاضِلَهُ فِي ذَلِكَ التَّابِعِ ، فَرَأَاهُ قَتَى فِي مُقْتَبِلِ
شَبَابِهِ ، وَرَأَى وَجْهَهُ فِي مِثْلِ بَيَاضِ الْفِضَّةِ ، وَشَعْرَهُ فِي مِثْلِ صُفْرَةِ
الذَّهَبِ . وَقَدْ وَقَفَ ذَلِكَ الشَّابُّ فِي شُعَاعِ الشَّمْسِ الْبَرَّاقِ ، فَابْتَهَجَ



« مَيْدَاسُ » حِينَ رَأَاهُ ، وَخِيلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَرَى أَمَامَهُ سَيِّدَهُ مِنْ سَبَائِكَ
الذَّهَبِ الْوَهَّاجِ الْحَبِيبِ إِلَى نَفْسِهِ

وَأَجَالَ الزَّائِرُ بَصَرَهُ فِي أَرْجَاءِ التَّرَفَةِ ، وَأَطَالَ تَأَمُّلَهُ فِيمَا
يُخْوِيهِ كَنْزُ « مَيْدَاسِ » مِنْ سَبَائِكَ ذَهَبِيَّةٍ وَقَائِسَ ، ثُمَّ انْتَفَتَ إِلَيْهِ سَائِلًا :
« مَا أَوْفَرَ ثَرَاكَ يَا صَدِيقِ « مَيْدَاسُ » ، فَمَا أَظُنُّ أَنَّ فِي الدُّنْيَا كُفْلَهَا
أَحَدًا قَدْ حَوَى مِثْلَ هَذَا الْكَنْزِ نَفَاسَةً ، وَمَا أَعْلَمُ أَنَّ رَجُلًا قَدْ اسْتَطَاعَ
أَنْ يَجْمَعَ مِثْلَ هَذَا الْقَدْرِ مِنَ الْمَالِ ! »

فَقَالَ لَهُ « مَيْدَاسُ » : « صَدَقْتَ يَا عَزِيزِي ، وَمَا أَرَانِي جَدِيرًا بِالْمُنْتَهَةِ ،
فَلَيْسَ كَثِيرًا عَلَى أَنْ أَظْفَرَ بِهَذَا الْكَنْزِ ، وَقَدْ انْتَفَتُ حَيَاتِي كُلَّهَا
فِي جَمْعِ الْمَالِ ! »

فَقَالَ لَهُ الزَّائِرُ الْغَرِيبُ : « مِمَّ تَشْكُو أَيُّهَا الصَّدِيقُ ؟ أَلَسْتَ مُبْتَهَجًا
بِمَا ظَفَرْتَ بِهِ مِنَ الْمَالِ ؟ أَتَطْلُبُ الزَّيْدَ يَا عَزِيزِي ؟ »
فَسَكَتَ « مَيْدَاسُ » ، وَأَوْمَأَ بِرَأْسِهِ إِيمَاءً خَفِيفَةً ، تَدُلُّ عَلَى
سُخْطِهِ ، وَتُعَبِّرُ عَنْ تَبَرُّمِهِ وَضَيْقِهِ وَضَجَرِهِ بِحَظِّهِ النَّاسِ . ثُمَّ تَهَدَّ
مُتَلَهِّفًا عَلَى تَحْقِيقِ أُمْنِيَّتِهِ .

فَقَالَ لَهُ التَّابِعُ (الْجَنِيُّ) : « خَبِّرْنِي : مَاذَا تُرِيدُ ؟ وَأَيُّ شَيْءٍ يُرْضِيكَ ؟
تَمَنَّ عَلَى الْأَمَانِيِّ ، فَإِنِّي مُحَقِّقٌ لَكَ مَا تَتَمَنَّاؤُ . »

٦ — أُمْنِيَّةُ « مَيْدَاسَ »

فَاطْرَقَ « مَيْدَاسُ » بِرَأْسِهِ لَحْظَةً قَصِيرَةً ، ثُمَّ انْفَتَحَ إِلَى مُحَدِّثِهِ ،
وَقَدْ اهْتَدَى إِلَى فِكْرَةٍ بَدِيعَةٍ ، مَلَكَتْ عَلَيْهِ قَلْبُهُ ، وَسَحَرَتْ مِنْهُ
لُبَّهُ (قَتَنَتْ عَقْلَهُ) ، فَقَالَ :

« إِنَّ أَشَدَّ مَا يَخْزُنُنِي : أَنَّنِي أَفْقَعْتُ حَيَاتِي ، وَأَصْنَعْتُ أَيَّامِي
كُلَّهَا فِي جَمْعِ الْمَالِ . وَمَا أُرَانِي قَدْ ظَفِرْتُ إِلَّا بِالْقَلِيلِ ، بَعْدَ هَذَا الْعَنَاءِ
وَالْكَدِّ . فَهَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى تَحْقِيقِ أُمْنِيَّتِي الْعَزِيزَةِ ؟ »

فَأَجَابَهُ التَّابِعُ : « قُلْتُ لَكَ : تَمَنَّ عَلَى مَا شِئْتَ مِنَ الْأَمَانِيِّ ،
فَإِنِّي مُجِيبُكَ إِلَى مَا تُرِيدُ . »

فَابْتَهَجَ « مَيْدَاسُ » ، وَتَهَلَّلَ وَجْهُهُ بِشْرًا (فَرَحًا) ، وَانْتَمَعَتْ
عَيْنَاهُ سُرُورًا .

ثُمَّ قَالَ لِلتَّابِعِ : « لَقَدْ عَشِيقْتُ الذَّمَّ ، فَمَا أَعْدِلُ بِهِ بَدِيلًا . »

وَلَيْسَ لِي فِي الْحَيَاةِ إِلَّا أُمْنِيَّةٌ وَاحِدَةٌ ، وَهِيَ أَنْ يَتَحَوَّلَ كُلُّ شَيْءٍ
الْمَسْهُ ، فَيَصْبِيحَ ذَهَبًا خَالِصًا وَهَاجًا ... »

فَقَالَ لَهُ التَّابِعُ :

« هَذِهِ أُمْنِيَّةٌ عَزِيزَةٌ الْمَالِ ، وَمَا أَظُنُّ أَنْ إِذْرَاكَهَا يُرْضِيكَ ! وَالرَّأْيُ
عِنْدِي أَنْ تُطِيلَ تَأْمَلُكَ ، قَبْلَ أَنْ أُجِيبَكَ إِلَى مَا تَطْلُبُهُ . »
فَقَالَ لَهُ « مَيْدَاسُ » :

« مَاذَا تَقُولُ يَا صَاحِبِي ؟ أَفِي الدُّنْيَا كُلُّهَا أُمْنِيَّةٌ أَعَذَّبُ مِنْ هَذِهِ
الْأُمْنِيَّةِ ؟ »

فَقَالَ لَهُ التَّابِعُ : « أَخْشَى أَنْ تَنْدَمَ إِذَا أَجَبْتُكَ إِلَى رَغْبَتِكَ ! »
فَقَالَ لَهُ « مَيْدَاسُ » :

« كُنْ عَلَى يَقَظَةٍ أَنِّي لَا أَرْضَى بِهَذِهِ الْأُمْنِيَّةِ بَدِيلًا . »

فَقَالَ لَهُ التَّابِعُ ، وَهُوَ يُودِّعُهُ ، مُبْتَعِدًا عَنْهُ :

« لَقَدْ أَجَبْتُكَ إِلَى طِلْبَتِكَ ؛ وَسَأَقْضِي لَكَ أُمْنِيَّتَكَ ، فِي فَجْرِ الْيَوْمِ
التَّالِي ، فَلَنْ تَلْمِيسَ شَيْئًا — بَعْدَ ذَلِكَ الْوَقْتِ — إِلَّا تَحَوَّلَ نُضَارًا (ذَهَبًا)
خَالِصًا وَهَاجًا ! »

الفصل الثاني

١ - تحقيق الأمانة

وما أتمَّ التابعُ كلامه ، حتَّى تَلَأَّ وَجْههُ نُورًا ، ثُمَّ اسْتَخَفَى عَنْ نَاطِرِيهِ .
وَتَلَفَّتَ «مَيْداسُ» - يَدْنَةً وَيَسْرَةً - فَلَمْ يَرَ أَحَدًا فِي الْحُجْرَةِ ، إِلَّا
شُعَاعَ الشَّمْسِ الَّذِي انْمَكَّسَ عَلَى سَبَائِكِ الذَّهَبِ الَّتِي أَفْنَى حَيَاتُهُ فِي
جَمْعِهَا وَادِّخَارِهَا .

وَلَمْ تَذْكُرْ لَنَا الْأَسْطُورَةَ كَيْفَ فَضَى «مَيْداسُ» لَيْلَتَهُ ؟ وَهَلْ زَارَ
الْكُرَى جَفْنَيْهِ ، وَطَرَقَ النَّوْمُ عَيْنَيْهِ ؟ أَمْ ظَلَّ - طُولَ لَيْلِهِ - سَاهِدًا
(سَاهِرًا) يَحْلُمُ بِتَحْقِيقِ الْأَمْنِيَّةِ الَّتِي وَعَدَهُ بِهَا التَّابِعُ الطَّرِيفُ ؟ عَلَى أَنَّ
قُصَارَى الظَّنِّ ، بَلْ أَكْبَرَ الْيَقِينِ ، أَنَّهُ كَانَ - مِنْ فَرَطِ سُرُورِهِ -
أَشْبَهَ بِطِفْلِ صَغِيرٍ وَعَدَّهُ أَبُوهُ بِلُعْبَةٍ جَمِيلَةٍ يَشْتَرِيهَا لَهُ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ ؛
فَبَاتَ الطِّفْلُ يَحْلُمُ بِهَذِهِ اللَّعْبَةِ الْجَمِيلَةِ طُولَ لَيْلِهِ ، وَيَرَى فِي مَنَاهِ نُورَ ذَلِكَ
الطَّرِيفِ الْجَمِيلِ الطَّلَعَةِ الَّتِي وَعَدَهُ بِتَحْقِيقِ أَمْنِيَّتِهِ الْغَالِيَةِ .

وَلَمَّا لَاحَتْ تَبَاشِيرُ الصَّبَاحِ ، اسْتَيْقَظَ الْمَلِكُ « مِينَدَاسُ » مِنْ نَوْمِهِ .
وَلَمْ يَكُنْ يَرَى أَوَّلَ شُعَاعٍ مِنْ أَشْعَةِ الشَّمْسِ يَنْقُذُ إِلَى حُجْرَتِهِ ، حَتَّى رَأَى
تَحْقِيقَ أُمْنِيَّتِهِ عِيَانًا .

وَلَقَدْ اسْتَوَلَتْ عَلَيْهِ الدَّهْشَةُ ، وَتَمَلَّكَهُ الْحَيْرَةُ ، حِينَ رَأَى غِطَاءَهُ —
الَّذِي كَانَ يَلْتَحِفُ بِهِ — قَدْ أَصْبَحَ ذَهَبًا خَالِصًا وَهَاجًا .

٢ — جُنُونُ الْفَرَجِ

وَلَا تَسَلْ عَنْ فَرَجِ « مِينَدَاسَ » بِمَا رَأَاهُ . فَقَدْ امْتَلَأَتْ نَفْسُهُ بَهْجَةً
وَانْشِرَاحًا ، وَفَاضَ السُّرُورُ عَلَى قَلْبِهِ فَأَذْهَلَهُ ، وَشَرَّدَ عَقْلَهُ . وَأَنْسَاهُ فَوْزَهُ
وَنَجَاحَهُ كُلَّ شَيْءٍ ، فَأَسْرَعَ يَجْرِي فِي حُجْرَتِهِ ، وَيَلْمِسُ كُلَّ شَيْءٍ يُصَادِفُهُ
فِيهَا ؛ فَلَا يَكَادُ يَفْعَلُ ، حَتَّى يُصْبِحَ مَا يَمَسُّهُ ذَهَبًا خَالِصًا وَهَاجًا !

ثُمَّ لَمَسَ « مِينَدَاسُ » أَحَدَ أَعْمِدَةِ سَرِيرِهِ ، فَإِذَا بِالسَّرِيرِ كُلِّهِ قَدْ ثَقُلَ
وَزْنُهُ ، وَأَصْبَحَ — فِي الْحَالِ — كُتْلَةً مِنَ الذَّهَبِ .

ثُمَّ عَجَلَ بِارتِدَائِهِ مَلَابِسِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ يَفْعَلُ حَتَّى رَأَاهَا كُلَّهَا قَدْ أَصْبَحَتْ
مِنْ الْجَوْخِ الذَّهَبِيِّ النَّاعِمِ الْجَمِيلِ . وَرَأَاهَا سَهْلَةً الْإِثْنَاءِ ، قَلِيلَةَ الثَّقَلِ ،



ظَرِيفَةَ الشُّكْلِ . وَلَمْ يَكْذِبْ يَلْمِسُ مِنْدِيلَهُ الصَّغِيرَ الَّذِي وَشَتْهُ لَهُ ابْنَتُهُ
 « مَرْيَمُ الدَّهْمِيَّةُ » ، حَتَّى تَحَوَّلَ ذَهَبًا لِبَرِّزَا ، وَتَحَوَّلَتْ خُيُومُهُ وَوَشْيُهُ ذَهَبًا .
 ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْظَارَهُ مِنْ جَيْبِهِ ، وَمَا وَضَعَهُ عَلَى أَنْفِهِ ، حَتَّى تَمَلَّكَتْهُ
 الدَّهْشَةُ ، وَحَارَ فِي أَمْرِهِ ، إِذْ رَأَى أَنَّهُ لَا يُبْصِرُ - بِمِنْظَارِهِ - شَيْئًا . فَلَمَّا
 أُنْصَحَ النَّظَرَ فِيهِ ، رَأَى زُجَاجَتَيْهِ قَدْ تَحَوَّلَا ذَهَبًا خَالِصًا . عَلَى أَنَّ «مَيْدَاسَ»
 رَأَى أَنَّ مِنْظَارَهُ قَدْ أَصْبَحَ - بَعْدَ ذَلِكَ - لَا فَائِدَةَ مِنْهُ ، وَإِنْ غَلَتْ قِيَمَتُهُ ،
 وَأَزْثَمَ ثَمَنُهُ . فَقَدْ كَانَتْ زُجَاجَتَاهُ أَثْقَعَ لِعَيْنَيْهِ مِنْ قِطْعَتَيِ الذَّهَبِ اللَّتَيْنِ
 تَحَوَّلَا إِلَيْهِمَا ، فَسَاوَرَ نَفْسَهُ شَيْئًا مِنَ الْقَلَقِ وَالضِّيقِ . وَلَكِنْ فَرَحَهُ
 - بِتَحْقِيقِ أُمْنِيَّتِهِ - قَدْ أَنْصَحَ التَّفَكِيرَ فِي أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ !

وَاسْتَوَى الْفَرَحُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَطَفَى عَلَيْهِ السُّرُورُ ، حَتَّى خُيِّلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ
 قَدْ أَصْبَحَ أَسْعَدَ مَنْ فِي الْعَالَمِ ، وَأَنْ قَصْرَهُ الرَّحِيبَ (الْفَيْسَحَ) أَصْبَحَ مِنْ
 أَنْ يَسْمَعَهُ مِنْ قَرْطِ السُّرُورِ .

ثُمَّ هَبَّطَ السَّلْمَ ، وَلَمْ يَكْذِبْ يَلْمِسُ الدَّرَائِزِينَ ، حَتَّى تَحَوَّلَ ذَهَبًا ، وَمَا
 فَتَحَ بَابَ الْحَدِيقَةِ ، حَتَّى تَحَوَّلَ الْبَابُ ذَهَبًا كَذَلِكَ .

وَلَمَّا دَخَلَ الْحَدِيقَةَ ، رَأَى الْوُرُودَ وَالْأَزْهَارَ الشَّدِيدَةَ الْمُرْدَهَرَةَ ، وَقَدْ

هَبَّتْ عَلَيْهِ فَفَحَّتْهَا (رَائِحَتُهَا) الْعِطْرَةُ ، مَعَ نَسِيمِ الصَّبَاحِ .
فَأَسْرَعَ إِلَيْهَا ، يَلْمِسُهَا وَاحِدَةً بَعْدَ الْأُخْرَى . وَمَا كَادَ يَفْعَلُ حَتَّى
تَحَوَّلَتْ ذَهَبًا خَالِصًا .

٣ - شَكْوَى « مَرْيَمَ »

ثُمَّ حَانَ وَقْتُ الْفُطُورِ ، وَكَانَ هَوَاءُ الصَّبَاحِ قَدْ أَجَاعَهُ ، فَعَادَ فِي
طَرِيقِهِ إِلَى الْقَصْرِ .

وَبَحَثَ عَنْ فَتَاتِهِ الصَّغِيرَةِ « مَرْيَمَ الذَّهَبِيَّةِ » ، فَلَمْ يَرَهَا
جَالِسَةً إِلَى الْمَائِدَةِ . فَأَمَرَ بِاسْتِذْعَائِهَا إِلَيْهِ ، وَجَلَسَ إِلَى الْمَائِدَةِ
يَتَرَقَّبُ عَوْدَتَهَا . وَبَعْدَ لَحْظَاتٍ قَلِيلَةٍ : رَأَاهَا قَادِمَةً عَلَيْهِ ، مَحْزُونَةً
بِاِكِيَّةٍ . فَدَهِشَ لِإِكَايَتِهَا .

وَكَانَتْ هَذِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ يَرَاهَا بِاِكِيَّةٍ حَزِينَةٍ . فَأَرَادَ أَبُوهَا أَنْ يُزِيلَ
حُزْنَهَا ، وَيُدْخِلَ السُّرُورَ عَلَى قَلْبِهَا ، وَيُفَاجِئَهَا مُفَاجَأَةً سَارَةً . فَأَمْسَكَ
بِقَدَحِهَا ، فَتَحَوَّلَ الْقَدَحُ ذَهَبًا خَالِصًا وَمَاجَاً .

وَحَسِبَ الْمَلِكُ « مَيْدَاسُ » أَنَّ هَذِهِ الْمُفَاجَأَةُ سَتُدْخِلُ السُّرُورَ وَالْفَرَحَ

عَلَى بِنْتِهِ الْعَزِيزَةِ : « مَرْيَمَ الذَّهَبِيَّةِ » . وَلَكِنَّهُ رَأَى أَنَّهَا لَمْ تَكُفَّ عَنِ النَّجِيبِ (الْبُكَاءِ) . فَسَأَلَهَا « مَيْدَاسٌ » :

« أَيُّ خَطْبٍ — يَا عَزِيزَتِي — أَلَمْ يَكِ ؟ »
فَقَالَتْ لَهُ : « أَنْظُرْ إِلَى هَذِهِ الزَّهْرَةِ ! »

فَقَالَ لَهَا : « مَا أَجْمَلُهَا وَرَدَّةٌ ، وَمَا أَبْدَعَ مَنْظَرُهَا ، وَأَبْجَحَ شَكْلُهَا ! » ؛ فَقَالَتْ « مَرْيَمُ » : « بَلْ مَا أَفْبَحُهَا وَرَدَّةٌ ، وَمَا أَسْمَجَ مَرَّأَهَا ، وَأَرْدَأَ شَكْلُهَا ! إِنَّنِي لَا أُطِيقُ رُؤْيَهَا . وَهِيَ — فِي نَظَرِي — أَفْبَحُ وَرَدَةٍ فِي الدُّنْيَا إِلَى الْآنَ . »

ثُمَّ اسْتَأْنَفَتْ « مَرْيَمُ » قَائِلَةً : « أَتَدْرِي مَاذَا لَقِيتُ الْيَوْمَ ، يَا ابْنَتَاهُ ؟ لَقَدْ ذَهَبْتُ إِلَى الْحَدِيقَةِ لِأَقْطِفَ — مِنْ شُجَيْرَاتِهَا — وَرَدَةً أَتَعْرِفُ مَاذَا حَدَثَ ؟ وَيَلَاهُ ! يَا لَهَا كَارِثَةٌ حَلَّتْ بِالْحَدِيقَةِ الْجَمِيلَةِ ! لَقَدْ ذُبِلَ الْوَرْدُ فِي حَدِيقَتِنَا ، وَأَصْفَرَ لَوْنُهُ ، وَلَمْ تَفُحْ مِنْهُ تِلْكَ الرَّائِحَةُ الذَّكِيَّةُ الَّتِي تَمَلَأُ الْأَرْجَاءَ عِطْرًا ، وَتُكْسِبُ النُّفُوسَ بَهْجَةً وَانْشِرَاحًا . فَأَيُّ خَطْبٍ أَلَمْ بِحَدِيقَتِنَا ؟ وَأَيُّ كَارِثَةٍ أَصَابَنَا فِي وَرُودِهَا وَأَزْهَارِهَا الشَّدِيدَةِ الْعِطْرَةِ ؟ »



فَفَجَلَ « مَيْدَاسُ » مِمَّا حَدَّثَ بِحَدِيثِهِ الْجَمِيلَةِ ، وَلَمْ يَجْرُؤْ عَلَى
إِخْبَارِهَا بِأَنَّهُ مَصْدَرُ هَذِهِ الْمُصِيبَةِ .

ثُمَّ قَالَ لَهَا بِاسِمًا ، لِيُنْسِيَهَا حُزْنَهَا عَلَى وَرْدَتِهَا الْعَزِيزَةِ :

« لَا عَلَيْكَ — يَا بُنَيَّ — مَا أَصَابَ وَرَدَتَكَ مِنَ الْإِصْفِرَارِ . عَلَى
أَنِّي لَسْتُ أَذْرِي : لِمَ تَحْزَنِينَ ؟ أَلَا يَسُرُّكَ أَنْ تَظْفَرِي بِوَرْدَةٍ
مِنَ الذَّهَبِ ، تَبْقَى مِثَالِ السِّنِينَ ، دُونَ أَنْ تَذُبُلَ ؟ أَلَا تَرْضَيْنَ بِهَا بَدِيلًا
مِنَ وَرْدَةٍ لَا تَلْبَثُ يَوْمًا كَامِلًا ، حَتَّى تَذُبُلَ ؟ هَوْنِي عَلَيْكَ يَا عَزِيزَتِي ،
وَاشْرَبِي مَا أَعَدَّ لَكَ مِنْ حَسَاءٍ (مَرَقٍ) لَدِيدٍ . »

٤ — عَلَى الْمَائِدَةِ

وَجَلَسَتْ « مَرْيَمُ » الصَّغِيرَةُ إِلَى الْمَائِدَةِ ، وَقَدْ أَنْسَاهَا حُزْنُهَا كُلَّ
مَا حَوَّلَهَا مِنَ الْمُفَاجَأَاتِ وَالْمَعَايِبِ ، فَلَمْ تَفُطِّنْ إِلَى تَحَوُّلِ الصَّفَائِحِ
وَالْأَطْبَاقِ كُلِّهَا ذَهَبًا خَالِصًا .

أَمَّا « مَيْدَاسُ » فَإِنَّهُ مَا مَسَّ فِتْنَانَةَ الْقَهْوَةِ ، حَتَّى تَحَوَّلَتِ الْفِتْنَانَةُ
ذَهَبًا خَالِصًا . فَاشْتَدَّ سُرُورُهُ ، وَظَلَّ يُفَكِّرُ فِي الْوَسِيلَةِ الَّتِي تُتِمِّكُهُ مِنْ

حَفِظْ هَذِهِ الْكُنُوزَ الذَّهَبِيَّةَ كُلَّهَا ، حَتَّى لَا يَسْطُوعُ عَلَيْهَا أَحَدٌ ، وَلَا تَمْتَدَّ
إِلَيْهَا أَيْدِي الْأَصْوَصِ .

وإِنَّهُ لَنَارِقٌ فِي تَفْكِيرِهِ ، إِذْ رَأَى مَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحُسْبَانِ ، وَأَبْصَرَ
مَا لَمْ يَكُنْ لِيَمُرَّ لَهُ عَلَى بَالٍ . ثَرَى مَا ذَا رَأَى ؟

لَقَدْ وَجَدَ أَنَّ الْقَهْوَةَ — الَّتِي كَانَتْ فِي فِنْجَانَتِهِ — لَمْ تَكَدْ تَمَسُّ
شَفَتَيْهِ ، حَتَّى تَحَوَّلَتْ ذَهَبًا سَائِلًا وَمَاجَا ، ثُمَّ جَمَدَتْ — بَعْدَ لَحْظَةٍ
قَصِيرَةٍ — فَأَصْبَحَتْ قِطْعَةً صُلْبَةً مِنَ الذَّهَبِ !

٥ — حُزْنُ «مَيْدَاسِ»

فَارْتَنَاعَ «مَيْدَاسُ» وَفَزِعَ وَتَأَلَّمَ ، وَاسْتَوَلَى عَلَيْهِ الْحُزْنُ وَالنَّمُ . وَصَاحَ
مَهْمُومًا : « آهِ ! يَا لَشَقَائِي وَحَيْرَتِي وَتَعَاسَتِي ! »

ثُمَّ تَعَاظَمَتِ الْحَيْرَةُ ، وَتَمَلَّكَ الدَّهْشُ ، إِذْ رَأَى أَنَّ كُلَّ
طَعَامٍ يَلْمِسُهُ ، لَا يَلْبَثُ أَنْ يَسْتَحِيلَ ذَهَبًا خَالِصًا ، مِنْ قَوَرِهِ .
وَتَمَّةٌ أَدْرَكَ أَنَّ لَنْ يَظْفَرَ بِغِذَاءٍ بَعْدَ الْيَوْمِ ؛ وَأَنَّهُ لَا بُدَّ هَالِكٍ جُوعًا .

فَأَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى كُرْسِيِّهِ ، وَأَطَالَ تَأَمُّلَهُ فِي بِنْتِهِ وَهِيَ تَلْتَهُمْ طَعَامَهَا
شَهِيًّا سَائِفًا .

فَقَالَ فِي نَفْسِهِ :

« يَا لَشَقَايَ ! فَإِنِّي أَرَى أُمَامِي طَعَامًا فَاحِرًا شَهِيًّا ، ثُمَّ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ
أَتَذَوَّقَ مِنْهُ شَيْئًا ! »

وَشَعَرَتْ « مَرْيَمُ » أَنَّ أَبَاهَا حَزِينٌ وَاجِمٌ حَاجِزٌ عَنِ الْكَلَامِ مِنْ
شِدَّةِ الْغَمِّ . وَكَانَتْ تُحِبُّهُ حُبًّا جَمًّا ، فَحَزَنْتْ لِحُزْنِهِ ، وَقَالَتْ لَهُ :

« خَبِّرْنِي — يَا أَبِي — مَاذَا بِكَ ؟ فَإِنِّي أُرَاكَ قَلِقًا مَهْمُومًا ! »

فَقَالَ لَهَا « مَيْدَاسُ » وَهُوَ يُصَعِّدُ الزُّفَرَاتِ حُزْنًا وَالْعَلَمَ :

« لِلَّهِ أَبُوكِ — يَا بُنَيَّتِي الْعَزِيزَةَ — فَقَدْ حَلَّتْ بِهِ الْخُطُوبُ وَالْمِحَنُ

(الْمَصَائِبُ) . وَمَا يَذْرَى وَالذِّكْرِ الْمُسْكِينُ : كَيْفَ تَكُونُ خَاتِمَةُ

أَيَّامِهِ النَّاعِسَةِ ؟ »

٦ — خَاتِمَةُ النُّكَبَاتِ

أَيُّهَا الطِّفْلُ الْعَزِيزُ : هَلْ سَمِعْتَ — طُولَ عُمرِكَ — أَنَّ رَجُلًا قَدْ



بَلَغَ مِنَ النَّعَاسَةِ وَالْخَيْبَةِ مَا بَلَغَهُ هَذَا النَّاعِسُ الْمُسْكِينُ ؟
 فَهُوَ يَرَى أَمَانَهُ أَشْغَى طَعَامٍ ، ثُمَّ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَذَوَّقَ مِنْهُ لُقْمَةً
 وَاحِدَةً ! أَلَا تَرَى أَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ فَقْرًا ، قَدْ أَصْبَحَ أَغْنَى مِنْ هَذَا الْمَلِكِ ،
 وَأَسْعَدَ مِنْهُ حَالًا ، وَأَهْنَأَ بَالًا ؟ أَلَا تَرَى أَنَّ كِسْرَةً مِنَ الْخُبْزِ يَا كُلُّهَا
 حَامِلٌ فَقِيرٌ ، وَقَدَحًا مِنَ الْمَاءِ يَشْرَبُهُ ، يَرْجَحَانِ ثَرَوَةً هَذَا الْغَنِيِّ النَّاعِسِ
 كُلُّهَا ، وَيَزِيدَانِ عَلَى كُلِّ مَا يَمْلِكُ مِنْ نَفَائِسٍ وَكُنُوزٍ ؟ أَلَسْتَ تَرَى
 إِحَالِهِ ، وَتَحْزَنُ لِمَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ ؟ فَاسْمَعْ - أَيُّهَا الطِّفْلُ التَّزِيرُ -
 خَاتِمَةَ النُّكَبَاتِ ، وَآخِرَةَ الْمَصَائِبِ الَّتِي أَلَمْتَ بِهِ :

لَقَدْ اشْتَدَّ بِهِ الْجُوعُ ، وَجَهَدَهُ الْعَطَشُ ، وَتَمَلَّكَتُهُ الْحَيْرَةُ ، وَاسْتَوَلَى
 عَلَيْهِ الْأَلَمُ ، وَاسْتَبَدَّ بِهِ الْحُزْنُ . فَظَلَّ يَتَنَهَّدُ : حَسْرَةً عَلَى مَا لَهُ ، وَفَزَعًا
 مِنْ مَصِيرِهِ النَّاعِسِ . وَحَاوَلَتْ « مَرْيَمُ » أَنْ تَعْرِفَ سِرَّ آلامِهِ ، وَمَصْدَرَ
 أَحْزَانِهِ ، فَلَمْ يَبْجَحْ لَهَا بِشَيْءٍ .

فَلَمْ تُطِقْ صَبْرًا عَلَى مَا أَصَابَهُ ، وَدَفَعَهَا حُبُّهَا لَهُ ، فَطَوَّقَتْ رُكْبَتَيْهِ
 بِذِرَاعَيْهَا ، فَانْحَنَى عَلَيْهَا يُقَبِّلُهَا فِي جَبِينِهَا ، شَاكِرًا لَهَا حُنُوءَهَا وَبِرَّهَا ، وَقَدْ
 شَعَرَ أَنَّ حُبَّ ابْنَتِهِ يَرْجِعُ مِلءَ الدُّنْيَا ذَهَبًا .

وَلَمْ يَكْدُ يُقْبِلُهَا ، وَيَشْكُرُ لَهَا إِخْلَاصَهَا ، حَتَّى رَأَى مَا لَمْ يَخْطُرُ لَهُ عَلَى بَالٍ .

فَصَاحَ مَذْعُورًا خَائِفًا : « أَجِيبِي أَيْتُهَا الْمَرْيَزَةُ . أَجِيبِي نِدَاءَ أَيْكِ يَا « مَرْيَمُ » الْحَبِيبَةُ الْمُخْلِصَةُ ! »

وَلَكِنَّ « مَرْيَمَ » لَمْ تُجِبْ أَبَاهَا ، وَلَمْ تَنْطِقْ بِحَرْفٍ وَاحِدٍ .
فَمَاذَا حَدَّثَ ؟

لَقَدْ حَلَّتْ بِـ « مِيدَاسَ » خَاتِمَةُ التَّكْبَاتِ ؛ إِذْ تَحَوَّلَتْ بِنْتُهُ الْمَرْيَزَةُ قِطْعَةً مِنَ الذَّهَبِ ، حِينَ لَمَسَتْ شَفَتَاهُ جَبِينَهَا !

٧ - شقاء الوالد الحزين

وَمَا إِنْ رَأَى مَا حَلَّ بِابْنَتِهِ الْمَرْيَزَةِ ، حَتَّى لَعَنَ الذَّهَبَ ، وَلَعَنَ السَّاعَةَ الَّتِي ظَفِرَ فِيهَا بِتَحْقِيقِ هَذِهِ الْأُمْنِيَّةِ الْحَقَاءِ .

فَقَدْ تَحَوَّلَ وَجْهُ تِلْكَ الْفَتَاةِ الصَّغِيرَةِ عَنْ حُمْرَةِ الْوَرْدِ ، إِلَى صُفْرِ الذَّهَبِ . وَكَانَ وَجْهُهَا - مُنْذُ لَحْظَةٍ - مُشْرِقًا بِالْحَيَاةِ ، قَيَاصًا بِالْإِخْلَاصِ وَالْحُبِّ ، فَأَصْبَحَ الْآنَ وَجْهًا أَصْفَرَ بَرَّاقًا . وَتَحَوَّلَتْ حَلَقَاتُ شَمْرِهَا

الْجَمِيلِ : حَلَقَاتِ ذَهَبِيَّةٌ مُصَفَّرَةٌ . وَجَمَدَ جِسْمَهَا اللَّطِيفُ بَيْنَ
ذِرَاعَيْ أَبِيهَا .

فَيَا هَوَلَ الْمُصِيبَةِ ! وَيَا لَشَقَاءِ وَالِدَيْهَا التَّائِسِ الْحَزِينِ !
لَقَدْ ذَهَبَتْ « مَرْيَمُ » الْعَزِيزَةُ فَرِيَسَةَ أَبِيهَا ، وَتَحَوَّلَتِ الطُّفْلَةُ تِمْنَالًا
مِنْ الْعَسْجَدِ (الذَّهَبِ) .

لَقَدْ كَانَ « مَيْدَاسُ » يَقُولُ فِي كُلِّ وَقْتٍ :
« إِنَّ ابْنَتِي تُسَاوِي مِثْلَ وَزْنِهَا ذَهَبًا ! »
أَمَّا الْآنَ ، فَإِنَّهُ يَشْعُرُ — بَعْدَ فَوَاتِ الْفُرْصَةِ — أَنَّ كُنُوزَ الدُّنْيَا
كُلُّهَا لَا تُسَاوِي قَلْبَهَا الْحَنُونُ .

الْآنَ يَرَى أَنَّ الدُّنْيَا — إِذَا مُلِئَتْ كُلُّهَا ذَهَبًا ، وَتَكَدَّسَتْ
أَكْوَامُ الْعَسْجَدِ قَمَلَاتٍ مَا بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ — لَنْ تَعْدَلَ
بِنْتَهُ الْعَزِيزَةَ « مَرْيَمَ » .

افصل الثالث

١ - عَوْدَةُ التَّابِعِ

وَأَطَالَ « مَيْدَاسُ » تَأَمُّلَهُ ، وَاسْتَتَرَقَ فِي تَفْكِيرِهِ ، حَتَّى كَادَ يُسَلِّمُهُ الْحُزْنَ إِلَى الذُّهُولِ .

وإِنَّهُ لَنَارِقٌ فِي أَحْزَانِهِ وَآلَامِهِ ، إِذْ رَأَى أَمَامَهُ ذَلِكَ التَّابِعَ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُهُ بِالْأَمْسِ .

فَطَأَ طَأً رَأْسَهُ خَجَلًا ، وَلَمْ يَجْزُؤْ عَلَى مُخَاطَبَتِهِ .

فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ التَّابِعُ ، وَقَالَ لَهُ سَاخِرًا :

« أَمَلَّكَ سَعِيدٌ بِمَا ظَفِرْتَ بِهِ مِنْ كُنُوزِ الذَّهَبِ ، أَيُّهَا

الصَّدِيقُ الْعَزِيزُ ؟ »

فَقَالَ لَهُ « مَيْدَاسُ » :

« لَيْسَ فِي الدُّنْيَا كُلِّهَا أَشَقُّ مِنِّي ! »

فَقَالَ لَهُ التَّابِعُ :

« كَيْفَ شَقِيتَ ؟ أَجَادُ أَنْتَ فِيمَا تَقُولُ ؟
 أَلَمْ أُبَرِّ بِوَعْدِي لَكَ ، وَأَوْفِ لَكَ بِمَا مَاهَدْتُكَ عَلَيْهِ ؟
 أَلَمْ أَنْجِزْ لَكَ أُمْنِيَّتَكَ ؟ فَعِمَّ تَشْكُو بَعْدَ ذَلِكَ ؟ »
 فَقَالَ « مَيْدَاسُ » :

« لَقَدْ آمَنْتُ الْآنَ أَنَّ الذَّهَبَ لَيْسَ - كَمَا ظَنَنْتُ - أَثْمَنَ شَيْءٍ فِي الْعَالَمِ .
 وَأَيَّقَنْتُ أَنَّ السَّعَادَةَ شَيْءٌ آخَرُ ! »
 فَقَالَ لَهُ التَّائِبُ :

« لَقَدْ تَغَيَّرَ رَأْيُكَ الْيَوْمَ ، وَأَصْبَحْتَ أَسْمَعَ مِنْكَ مَا لَمْ أَسْمَعْهُ بِالْأَمْسِ .
 وَلِمَئِذَا سَأَلْتُكَ - يَا « مَيْدَاسُ » - فَأَجِبْنِي فِي صَرَاحَةٍ :
 أَيُّ الْأَمْرَيْنِ أَجْدَى عَلَيْكَ : مِلْءُ الْعَالَمِ ذَهَبًا ، أَمْ قَدَحُ مِنَ الْمَاءِ
 الْعَذْبِ ؟ »

فَصَاحَ « مَيْدَاسُ » :

« إِنَّ قَدَحًا مِنَ الْمَاءِ الْعَذْبِ - أَثْمَنُ - عِنْدِي - مِنْ كُنُوزِ الْأَرْضِ
 كُلِّهَا . فَمَنْ لِي بِهِ الْآنَ ؟ فَقَدْ جَفَّ حَلْقِي ، وَكِدْتُ أَهْلِكُ مِنَ الْعَطَشِ . أَمْ !
 مَا أَعَذَّبَ الْمَاءُ ! وَمَا أَعْظَمَ نِعْمَةً لِلنَّاسِ ! أَيُّهَا الْمَاءُ الْمُبَارَكُ : أَنَّى لِي بِكَ ؟ »

فَلَسْتُمْ تَعْبُدُونَ إِلَّا الْتَابِعُ قَائِلًا :

« خَبَّرَنِي أَيُّهَا الصَّدِيقُ : أَيُّ الْأَمْرَيْنِ أَجْدَى عَلَيْكَ ، وَأَنْفَعُ لَكَ : مِلْهُ الْأَرْضِ ذَهَبًا ، أَمْ كِسْرَةُ خُبْزٍ ؟ »

فَقَالَ « مَيْدَاسُ » مُتَلَهِّفًا حَزِينًا :

« إِنَّ كِسْرَةَ مِنَ الْخُبْزِ ، لَتَرْجِعُ كَنْوَزَ الدُّنْيَا قَاطِبَةً ! »

فَقَالَ لَهُ الْتَابِعُ :

« فَخَبَّرَنِي : أَيُّ الْأَمْرَيْنِ أَنْفَعُ لَكَ : مِلْهُ الْأَرْضِ ذَهَبًا ، أَمْ بَنْتُكَ مَرْيَمُ ؟ »

فَصَاحَ « مَيْدَاسُ » الْمِسْكِينُ نَادِمًا ، وَهُوَ يَعْصُ بُنَانَهُ (رُءُوسَ أَصَابِعِهِ) :

« آهِ يَا لَشَقَائِي ! إِنْ كَنْوَزَ الدُّنْيَا كُلُّهَا لَا تُسَاوِي عِنْدِي ابْتِسَامَةَ ابْنَتِي

الْعَزِيزَةِ ! »

٢ - خَاتَمَةُ الْحَوَارِ

فَقَالَ الْتَابِعُ جَادًّا :

« الْآنَ عَقَلْتُ يَا « مَيْدَاسُ » ، وَأَقَفْتُ مِنْ ضَلَالِكَ . الْآنَ أَذْرَكَتَ — فِيمَا

أَرَى — أَنَّ أَتَقَهُ الْأَشْيَاءَ الَّتِي لَا يَمُجِزُ عَنْ إِذْرَاكِهَا أَفْقَرُ النَّاسِ ، أَثْمَنُ مِنْ

كنوز الأرض كلها ! فخبّزني ؛ ولا تكذبني القول : أتريد أن ترجع
كما كنت ، وتمود سيرتك الأولى ؟ »

فقال « مَيداسُ » :

« لَيْسَ أَحَبُّ إِلَيَّ نَفْسِي مِنْ تَحْقِيقِ هَذِهِ الْأُمْنِيَةِ ! »

فقال له التابع :

« لَا عَلَيْكَ - يَا صَدِيقِي - فَادْهَبْ إِلَى الْغَدِيرِ الَّذِي يَجْرِي فِي
حَدِيقَتِكَ ، وَاسْتَحِمَّ فِيهِ . ثُمَّ امْلَأْ مِنْ مَائِهِ إِنَاءً ، وَأَسْكُبْ مِنْهُ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ تُرِيدُ أَنْ تُعِيدَهُ إِلَى أَصْلِهِ . »
ثُمَّ اسْتَخْفَى التَّابِعُ مِنْ فَوْرِهِ .

٣ - السَّعَادَةُ بَعْدَ الشَّقَاءِ

وَلَا تَسَلْ - أَيُّهَا الطِّفْلُ الْعَزِيزُ - عَنْ فَرَجِ « مَيداسَ » بِمَا سَمِعَهُ
مِنَ التَّابِعِ (الْحَيِّ) ، فَقَدْ اسْتَوَلَى عَلَيْهِ الشُّرُورُ .

وَلَمْ يَضِعْ وَقْتَهُ عَبَثًا ، فَجَرَى مُسْرِعًا إِلَى جَرَّةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الْفَخَّارِ ، وَلَمْ
يَكْذِبْ يَلْبِسُهَا ، حَتَّى تَحَوَّلَتْ ذَهَبًا . ثُمَّ أَسْرَعَ يَمْشِي حَتَّى بَلَغَ الْغَدِيرَ ، فَالْتَقَى

بِنَفْسِهِ فِيهِ . وَقَدْ أَنْسَاهُ فَرَحَهُ أَنْ يَخْلَعَ ثِيَابَهُ وَحِذَاءَهُ . ثُمَّ مَلَأَ الْجِرَّةَ مِنْ مَائِهِ ، فَتَحَوَّلَتِ الْجِرَّةُ فَخَارًا كَمَا كَانَتْ . فَطَابَتْ نَفْسُهُ بِذَلِكَ ، وَشَعَرَ بِالسَّعَادَةِ كَامِلَةً مَوْفُورَةً ، وَتَخَلَّصَ مِنْ ذَلِكَ الْهَمِّ الثَّقِيلِ .



ثُمَّ قَفَلَ رَاجِعًا إِلَى قَصْرِهِ ، وَسَكَبَ قَطَرَاتٍ مِنَ الْمَاءِ عَلَى ابْنَتِهِ الصَّغِيرَةِ « مَرْيَمَ » ، فَعَادَتْ — كَمَا كَانَتْ — مَوْفُورَةَ الصَّحَّةِ ، مُورِدَةً الْخَدَيْنِ ، مُشْرِقًا وَجْهَهَا بِالْحَيَاةِ . وَقَدْ عَجِبَتِ الْفَتَاةُ الصَّغِيرَةُ أَنْ رَأَتْ أَبَاهَا يُبَلِّغُهَا بِالْمَاءِ ، وَلَمْ تَذَرِ مَا حَدَّثَ وَلَمْ تَذْكُرْ شَيْئًا مِمَّا وَقَعَ لَهَا .
وَأَخْفَى الْمَلِكُ « مَيْدَاسُ » عَنِ ابْنَتِهِ « مَرْيَمَ » حَقِيقَةَ مَا حَدَّثَ ، حَتَّى

لَا يُظْهَرُ لَهَا حِمَاقَتُهُ وَجُنُونُهُ ، فِيمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ .
 ثُمَّ صَبَّ الْمَاءَ عَلَى شُحَيْرَاتِ الْوَرْدِ وَالْأَزْهَارِ فَعَادَتِ الْوُرُودُ إِلَى حَالِهَا
 الْأُولَى ، وَعَادَتِ الْحَدِيقَةُ بَهِيجَةً ، عَطِرَةً الشَّدَى ، رَائِعَةً الْحُسْنِ ، تَسْرُ
 النَّاطِرِينَ .

٤ — خَاتِمَةُ الْقِصَّةِ

وَقَضَى «مَيْدَاسُ» بَقِيَّةَ حَيَاتِهِ سَعِيدًا ، وَادْعَ الْبَالِ ، مُرْتَاحَ الْقَلْبِ ،
 قَرِيرَ الْعَيْنِ (هَادِيَ النَّفْسِ)
 وَلَمْ يَبْقَ مِنْ ذِكْرِيَّاتِ هَذَا الْحَادِثِ إِلَّا شَيْءٌ وَاحِدٌ : هُوَ شَعْرُ ابْنَتِهِ
 الْجَمِيلِ ، الَّذِي ظَلَّ يَبْرُقُ لَمَاعًا كَالذَّهَبِ ١

١٩٩١ / ٤٣٣٤	رقم الإيداع
ISBN 977-02-3325-6	الترقيم الدولي

١ / ٩١ / ١١٣

طبع مطابع دار المعارف (ج. م. ع.)

مكتبة الأطفال بقلم كمال كيلاني

أساطير العالم

- ١ الملك ميداس . ٢ في بلاد العجائب .
- ٣ القصر الهندي . ٤ قصاص الأثر .
- ٥ بطل آتينا . ٦ الفيل الأبيض .

قصص علمية

- ١ أصدقاء الزبيح . ٢ زهرة البرسم .
- ٣ في الاصطبل . ٤ جارة الغابة .
- ٥ أسرة السحاب . ٦ أم سند وأم هند .
- ٧ الصديقتان . ٨ أم مازن .
- ٩ العنكب الحزين . ١٠ النحلة العاملة .

أشهر القصص

- ١ جلغر في بلاد الأقزام .
- ٢ » في بلاد المعلقة .
- ٣ » في الجزيرة الطيارة .
- ٤ » في جزيرة الجياد الناطقة .
- ٥ روبنسن كروزو .

قصص عربية

- ١ حي بن يقظان . ٢ ابن جبير في مصر والحجاز .

قصص تمثيلية

- ١ الملك النجار .

قصص فكهية

- ١ عمارة . ٢ الأرنب الذكي .
- ٣ عفاريت اللصوص . ٤ نعمان .
- ٥ العرندس . ٦ أبو الحسن .
- ٧ حذاء الطنبوري . ٨ بنت الصباغ .

قصص من الف ليلة

- ١ بابا عبد الله والدرويش .
- ٢ أبو صير وأبو قير . ٣ على بابا .
- ٤ عبد الله البري وعبد الله البحري .
- ٥ الملك عجيب . ٦ خسرو شاه .
- ٧ السندباد البحري . ٨ علاء الدين .
- ٩ تاجر بغداد . ١٠ مدينة النحاس .

قصص مصرية

- ١ الشيخ الهندي . ٢ الوزير السجين .
- ٣ الأميرة القاسية . ٤ خاتم الذكري .
- ٥ شبكة الموت . ٦ في غابة الشياطين .
- ٧ صراع الأخوين .

قصص شكير

- ١ العاصفة . ٢ تاجر البندقية .
- ٣ يوليوس قيصر . ٤ الملك لير .

Bibliotheca Alexandrina



0287754

٠٦٦٣

٤٣:٠٠